في عيد الأول من ايار

انتصارات الطبقة العاملة العالمية والشعوب المضطهدة هي التي تحدّد المجرى الرئيسي لحركة العصر وتحوّله التاريخي

بقلم : عدنان بدر

يطل عيد الاول من أيار هذا العام وانتصارات الطبقة العاملة العالمية (المحرك الرئيسي للعملية الثورية في هذا العصر) أكثر بروزا منها في أي وقت مضى وأشد تأكيدا للهيمنة التاريخية .. حتمية انتصار الاشتراكية وانهيار الرأسمالية على نطاق عالمي شامل .

وفي احتفال عمال العالم بعيدهم المجيد ضمن اطار هذه الانتصارات: وعلى ضوء الآمال الكبرى للبشرية عموما بالانتصار الشامل المحتم الذي بات قريبا ، لا بد من الوقوف باجلال أمام هذا التراث الضخم من النضالات التي قدمتها بروليتاريا العالم وشعوبه المضطهدة على مدى أجيال عديدة .. وتحيه ذكرى ملايين العمال والابطال الطلائعيين الوطنيين والتقدميين الذين قضوا شهداء على دروب هذه الانتصارات فرسموا بدمائهم خريطه جديدة للعالم الراهن والمقبل .. وتذكر ان مئات الملايين من العمال والكادحين والفقراء قد عانوا ، وهم ما يزالون يعانون من عذابات تفوق التصور ، لا بد من ازالتها حتى ترفرف رايات العدالة والسلم والاشتراكية على اربعة أرجاء هذا الكوكب .

ان التفاتة الى هذه الحقائق والوقائع الماضيه والراهنة ، تجعل العيد أجمل وتعطي للانتصارات المحققه بريقا اروع ..

يطل عيد العمال اليوم ، والبشرية بأسرها تحت خطاها المجيدة على طريق العالم الجديد :

● فالمعسكر الاشتراكي ، يواصل نهوضه وتقدمه باضطراد ، فيحتل يوما بعد يوم حجما ووزنا أكبر في كافة مجالات الحياة الدولية الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية .. على حساب النظام الرأسمالي المتهاوي والذي تنخره أزماته المصيرية المستعصية .. مئات الملايين من الشغيلة الذين تحرروا ورفعوا عاليا رايات الاشتراكيه ، يهنؤون بالحيان الاشتراكيه المزدهرة باضطراد ، دون ان يعرفوا الازمات المتوالية التي يعيشها العالم الرأسمالي (كالبطالة والغلاء والتضخم ، ومشاكل التعليم والصحة والخوف من الغد) .. وترتفع مستوياتهم المعاشية باستمرار ، بعد أن تحقق لهم نظام تمتع كل الناس بكل معطيات الحياة وجمالاتها دون اي تمييز طبقي او عرقي او شوفيني.. في نفس الوقت الذي يقدمون فيه ، من جهودهم ، وبكل طواعية المساعدات الكبرى للطبقة العاملة العالمية وشعوب العالم المكافحة ، في كافة بلدان العالم الاخرى ..

● أما المعسكر الرأسمالي ، معسكر عالم الامس « المتصابي دونما أمل » ، فغارق في ازماته المستعصية . ملاحق في كل مكان بمختلف

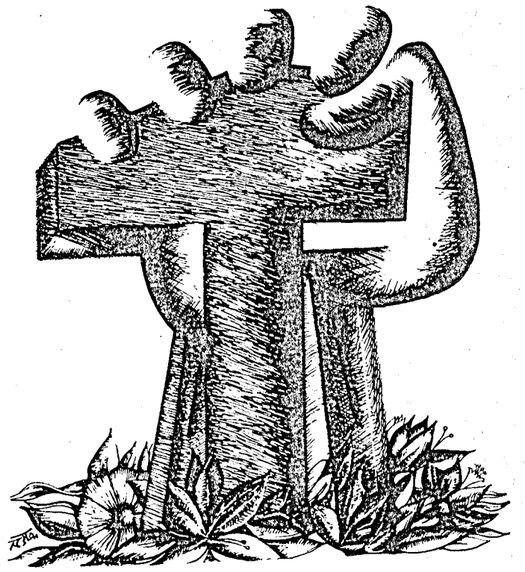

أشكال النضالات الرامية الى هدمه .. يتخبط في جملة مشاكله المعقدة دونما حل .. ويفقد يوما بعد يوم قدرته على البطش والاستغلال .. بلدان وشعوب كثيرة تتحرر من قبضته فيعجز عن تعويض ما كان ينهبه من خيراتها ، ويجد نفسه وجها لوجه أمام نضالات الطبقة العاملة في بلدانه .. تلك النضالات التي لم يعد أمامه من مجال للهروب منها ومن انتصارها الحتمي ..

● الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ، تحتفل بعيدها اليوم وهي ترفع رايات النضال الطبقي التقدمي والديمقراطي ، دون ان تتمكن التحولات الفاشية في النظام الرأسمالي من كبح تلك النضالات .. وها هي العملية الثورية تدق أبواب اوروبا ، فتتهاوى أمامها قلاع النظام الرأسمالي هناك التي كان يظن البعض ، حتى أمد قريب جدا ، أنها أقوى من المستحيل .. حتى حلف الاطلسي نفسه ، حلف تطويق المعسكر الاشتراكي والهجوم عليه ، أخذ في التحول الى رجل العالم المريض .. ولم يعد الرأسماليون والامبرياليون قادرين حتى على اخفاء أمراضه المتعددة وأخطار انهياره ، فيضطر كيسنجر نفسه الى البكاء على أطلاله ..

● هذا كله بعد أن أخذ النظام الاستعماري العالمي بشكليه القديم والحديث ، يتهاوى تحت ضربات الشعوب المكافحه من أجل التحرر والتقدم ، تحت ضربات حركة التحرر الوطني ، الاحتياط الهائل لحركة الثورة العالمية كما يقول لينين العظيم .. ولعل أروع انتصارات هذه الحركة خلال المدى القريب كان تحرر شعوب الهند الصينية وتمريغها لاعتى القوى الامبريالية في الوحل والدم .. وكذلك انتصار الشعوب الافريقية في موزامبيق وانغولا ، وبدء تهاوي الانظمه العنصرية هناك.. هذا بالاضافة الى انتصارات متعددة للعديد من بلدان العالم الثالث وقطعهاأشواطا كبيرة على طريق التحرر الاقتصادي من السوق الامبريالية الدولية وتحرير جزء كبير من ثرواتها . في الوقت الذي تعاني فيها الرجعية والعنصرية (حليف الامبرياليه ووكيلها المحلي في البلدان المتخلفة) المزيد من العزلة والمزيد من الخطر ..

هذا هو الاطار العام من الانتصارات التي تحتفل الطبقه العاملة في ظلها بعيد الاول من أيار لهذا العام .. لكن هذه الانتصارات البالغة الاهمية ، والتي تحدد - بدون شك - المجرى الرئيسي لحركة العصر والتحول التاريخي العالمي .. لا تعني أن قوى معسكر العدو قد انهارت نهائيا او أنها كفت او يمكن ان تكف عن المقاومة ، ولا تعني ان العملية الثورية العالمية قد باتت سهله او خاليه من المخاطر والتعقيدات والتعرجات ، أو أنها لا تواجه معارك كبرى وطاحنة ..

فالامبريالية (ونظامها الرأسمالي) بالرغم من كل ما نزل بها من هزائم وما وجه ويوجه لها من ضربات ما تزال قويه ومستميتة في الدفاع عن وجودها ومواقعها ومصالحها وعن علاقات الاستغلال الداخلي والخارجي التي تتربع فوقها .. ومن المستحيل التصور انها يمكن ان تتخلى عن هذه المواقع بسهولة ويسر .. بل على العكس تماما .. فهذه القوى الرأسمالية الامبريالية التي لم تتورع عن زج العالم في حربين عالميتين طاحنتين ومئات الحروب المحلية العدوانيه الوحشية ، في مرحلة صعودها واقتسامها لاسواق العالم .. لا يمكن في مرحلة انحدارها واندحارها الا ان تستميت في الدفاع عن مواقعها .. وتكون أشد عدوانية وشراسة مما كانت عليه في مرحلة الصعود ، ذلك لانها في مرحلة الهبوط تدافع عن نفسها دفاع وجود ومصير ، في حين انها كانت سابقا تقاتل من أجل المزيد من الارباح فقط ، وشتان ما بين الدفاع عن الارباح والدفاع عن الوجود ..

لذا نجد ان هذه القوى الامبرياليه والرأسمالية الآفلة ، تتميز في هذه المرحلة بشراسة اكبر وعدوانية أشد تجاه القوى العمالية والشعوب المضطهدة المناضلة من أجل تحررها .. ففي وجه تحرر الشعب الفيتنامي البطل خاضت الامبريالية الاميركية أشرس وأطول حرب عدوانية عرفها التاريخ المعاصر ..

أما في وجه تحرر شعبنا العربي ، فاننا نواجه اعتى هجمة امبريالية صهيونية رجعية ، تعطف فيها جحافل متعددة من القوى المعادية وهي تحاول بكل ما تملك من طاقات ووسائل أن تقضي على قوانا الثورية المناضلة في كل ساحة من ساحات هذا الوطن .. وليس هناك من ساحة حملت فيها جماهيرنا السلاح الا وتشن عليها هذه القوى حملة تصفوية شرسة ومتعددة المحاور والادوات كما يجري على الساحتين العمانية والفلسطينية . وليس من ساحة خاضت جماهيرها نضالا وطنيا وتقدميا مظفرا الا وتحيطها قوى الهجمة بشتى الضغوط والمؤامرات والمناورات لاجهاضها .. كما يجري في كل الاقطار التي تقوم فيها أنظمة وطنية وتقدمية ومناهضة للامبريالية ..

وليس ما نشهده هنا على الساحة اللبنانية - الفلسطينية ، منذ ما ينوف عن العام ، من هجمة فاشية دموية ، الا جزء من هذه الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية الواسعة .. الساعية الى تصفية قوى الثورة العربية وتصفية فضاياها التحررية وفي مقدمتها قضية فلسطين المحورية ، من أجل استعادة مواقع للامبريالية في هذا الوطن وحماية مواقع قديمة ، واعادة ترتيب المنطقة كلها لخدمة مصالحها في هذه البقعة الستراتيجية المهمة من العالم ، والتي تختزن أغنى ثرواته

لكن جماهيرنا العربية لا تقف مكتوفه الايدي تجاه هذه الغزوة « المودرن » بل هي تتصدى لها بكل بسالة وصمود .. فتخبط الهجمة تلو الهجمة والمؤامرة في أثر المؤامرة .. واذا كان تهاوي الكثير من القوى والمواقف الوسطية المذبذبة في أحضان الطرف الاخر من المعركة ، يزيد من صعوبات هذا النضال الجماهيري العربي ويخلق له المزيد من التعقيدات والعثرات .. فان ذلك في الوقت نفسه يفسح المجال أمام القوى الجذرية أمام الطبقة العاملة العربية لتلعب دورها التاريخي القيادي والحاسم في هذه المعركة المصيرية القومية والطبقية .

واذا كان من انجاز نضالي بارز يسيطر سيطرة كاملة على احتفال عيد طبقتنا العاملة العربية هذا العام ، الى جانب انجازاتها الاخرى ، فهو بدون شك ذلك الصمود الباسل الذي برز لدى جماهيرنا اللبنانية الكادحة والمكافحة على مدى اكثر من عام وهي تصد الهجمة الفاشية التصفوية جنبا الى جنب مع جماهيرنا الفلسطينية الثائرة .. والتضحيات الهائلة التي قدمتها هذه الجماهير حتى يصبح الشعار الاسلم لهذا العيد ، هو ذلك العناق المصيري بين البندقيتين المقاتلتين اللبنانية والفلسطينية .

فلترتفع رايات احتفال طبقتنا العاملة بعيدها المجيد تحت شعارات وحدة قوى الثورة العربية في مواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية والتسوية الاستسلامية ووحدة قوى الثورة العالمية في مواجهة الامبريالية ونظامها الرأسمالي المتهاوي .